



المجلة الجزائرية للعلوم - ب -
آداب وعلوم إنسانية

ISSN: 2661-7064
/http://univ-eltarf.dz/fr



إشكالية الضرورة الشعرية في الدرس النقدي المعاصر: من الاضطرار الوزني إلى الانزياح الأسلوبي

**:The Problematic of Poetic Necessity in Contemporary Critical Discourse
From Metrical Constraint to Stylistic Deviation**

سالم فضل عاشور باجري
جامعة الملك سعود - الرياض

تاريخ الاستلام: 14-11-2025 تاريخ القبول: 10-12-2025 تاريخ النشر: 18-02-2026

ملخص	معلومات المقال
<p>يتناول هذا البحث إشكالية الضرورة الشعرية في الخطاب النقدي المعاصر من خلال إعادة قراءة نقدية لمفهوم تقليدي راسخ في التراث العربي. يهدف البحث إلى دراسة العلاقة الإشكالية بين المعيار اللغوي والوظيفة الجمالية للضرورة الشعرية، متسائلًا عما إذا كانت الضرورة الشعرية ما زالت ضرورة فعلية في الممارسة الشعرية المعاصرة، أم أنها تحولت إلى اختيار جمالي واع. يستعرض البحث الجذور التاريخية لمفهوم الضرورة الشعرية منذ نشأته في البيئة المعرفية للنحاة الأوائل، ويرصد مواقف المدارس النحوية المختلفة من هذه الظاهرة، كما يعيد النظر في المعاني المتعددة للضرورة من خلال تحليل نصوص ابن جني والشاطبي التي تكشف عن أبعاد أعمق لهذا المفهوم تتجاوز فكرة الاضطرار الوزني إلى الاختيار البلاغي والجمالي. يناقش البحث أيضًا تأثير التحولات التي شهدتها الشعر العربي الحديث على مفهوم الضرورة، خاصة مع ظهور قصيدة النثر وشعر التفعيلة. يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي في دراسة تطور المفهوم، ويقترح إعادة قراءة الضرورة الشعرية من منظور الانزياح الأسلوبي، مما يفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين المعيار اللغوي والإبداع الشعري. يخلص البحث إلى أن الضرورة الشعرية ظاهرة متعددة الطبقات تشمل حالات الاضطرار اللغوي الحقيقي وحالات الاختيار الجمالي المتعمد، وأن التمييز بينهما يتطلب تحليلًا نقديًا دقيقًا يأخذ بعين الاعتبار السياق الشعري الكلي.</p>	<p>الكلمات المفتاحية: الضرورة الشعرية - المعيار اللغوي - الوظيفة الجمالية - الانزياح الأسلوبي - الشعر العربي المعاصر - النحو العربي - النقد الأدبي - الشعرية العربية البريد الإلكتروني: a.halimi@univ-eltarf.dz</p>

Abstract	Article information
<p>Abstract This research addresses the problematic of poetic necessity in contemporary critical discourse through a critical re-reading of a well-established traditional concept in Arabic heritage. The study aims to examine the problematic relationship between linguistic standards and the aesthetic function of poetic necessity, questioning whether poetic necessity remains an actual necessity in contemporary poetic practice or has transformed into a conscious aesthetic choice. The research reviews the historical roots of the concept of poetic necessity from its emergence in the scholarly environment of early grammarians, and traces the positions of different grammatical schools on this phenomenon. It also reconsiders the multiple meanings of necessity through analyzing the texts of Ibn Jinni and Al-Shatibi which reveal deeper dimensions of this concept that transcend the idea of metrical compulsion to rhetorical and aesthetic choice. The research also discusses the impact of transformations in modern Arabic poetry on the concept of necessity, particularly with the emergence of prose poetry and free verse. The study employs descriptive-analytical and historical methods to examine the evolution of the concept, and proposes re-reading poetic necessity from the perspective of stylistic deviation, opening new horizons for understanding the relationship between linguistic standards and poetic creativity. The research concludes that poetic necessity is a multi-layered phenomenon encompassing cases of genuine</p>	<p>Key words : Poetic Necessity – linguistic Standard – Aesthetic Function – Stylistic – Deviation ontemporary Arabic Poetry – Arabic Grammar – Literary Criticism – Arabic Poetics</p>

linguistic compulsion and cases of deliberate aesthetic choice, and that distinguishing between them requires precise critical analysis that takes into account the overall poetic context

المقدمة:

تشكل الضرورة الشعرية واحدة من أكثر الظواهر اللغوية والنقدية إثارة للجدل في تاريخ الأدب العربي، إذ تقع عند نقطة التقاطع بين حقول معرفية متداخلة هي: النحو، واللغة، والنقد الأدبي. يعرف محمد حماسة عبد اللطيف الضرورة الشعرية بأنها ما جاز في الشعر ولم يجز في الكلام لعله من العلل (عبد اللطيف، 1996، ص 23). وقد شغلت هذه الظاهرة النحاة واللغويين والنقاد منذ عصور التدوين الأولى، حيث حاولوا استيعاب التناقض الظاهري بين صرامة القاعدة النحوية من جهة، ومرونة الممارسة الشعرية من جهة أخرى.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الضرورة الشعرية في سياق الخطاب النقدي المعاصر، مع التركيز على إشكالية العلاقة بين المعيار اللغوي والوظيفة الجمالية. وتتمثل المشكلة البحثية في السؤال المحوري التالي: هل ما زالت الضرورة الشعرية ضرورة فعلية في الممارسة الشعرية المعاصرة؟ وهل يمكن إعادة قراءتها من منظور جمالي يتجاوز التفسير التقليدي القائم على فكرة الاضطرار الوزني؟

تنبع أهمية البحث من كونه يعيد النظر في مفهوم تقليدي راسخ في النقد العربي القديم، ويحاول قراءته قراءة معاصرة تأخذ بعين الاعتبار التحولات الجذرية التي شهدتها الشعر العربي خلال القرن العشرين، وظهور أشكال شعرية جديدة كشعر التفعيلة وقصيدة النثر. يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الظاهرة، مع الاستفادة من المنهج التاريخي في رصد تطور المفهوم عبر العصور المختلفة.

أ- الجذور التاريخية للضرورة الشعرية

3-1 السياق المعرفي لنشأة المصطلح:

نشأ مفهوم الضرورة الشعرية في بيئة معرفية محددة تتمثل في جهود النحويين واللغويين الأوائل لاستقراء الشعر العربي القديم وتقعيد اللغة بناء عليه. فقد كان الشعر الجاهلي والإسلامي المبكر يعد المصدر الأول والأساسي للاحتجاج اللغوي، إلى جانب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب الفصحاء (الزجاجي، 1984، ص 67). واجه النحويون معضلة منهجية دقيقة تمثلت في وجود تراكيب وصيغ في أشعار الفحول المحتج بهم لا تنسجم تماما مع القواعد التي استخلصوها من غالبية الاستعمالات اللغوية. يشير إبراهيم حسن إبراهيم إلى أن النحاة لم يكن بإمكانهم رفض هذه الظواهر كليا، لأن ذلك يعني رفض جزء من كلام العرب المحتج به، كما لم يكن بإمكانهم قبولها كقواعد عامة يقاس عليها، لأن ذلك قد يؤدي إلى فوضى في المعيار اللغوي (إبراهيم، 2005، ص 89).

من هنا كانت الحاجة إلى تطوير مفهوم نظري يستوعب هذا التناقض، فولد مصطلح الضرورة الشعرية كحل وسط بين الرفض المطلق والقبول العام (سيبويه، 1988، ج 1، ص 25). أصبحت الضرورة فئة خاصة من الاستخدامات اللغوية: مقبولة في سياق محدد هو الشعر ولغرض محدد هو إقامة الوزن والقافية، لكنها لا تصلح للقياس عليها في الاستعمال العام.

3-2 موقف المدارس النحوية:

تباينت مواقف المدارس النحوية الكبرى من الضرورة الشعرية تباينا يعكس اختلافها المنهجي الأعمق في النظر إلى اللغة ومصادر التععيد. عرفت مدرسة البصرة بتشدها في قبول الضرورة، إذ كانت تميل إلى تضييق نطاقها والحد من أشكالها (الأنباري، 1961، ص 134). يشير سيبويه في كتابه إلى أن الاضطرار في الشعر يحمل على أضييق وجوهه، ولا يتوسع فيه إلا عند انسداد باب القياس (سيبويه، 1988، ج 2، ص 276). في المقابل، كانت مدرسة الكوفة أكثر تساهلا وسعة في قبول الضرورات (أبو البركات الأنباري، 1987، ص 98). فالكوفيون، ومن أبرزهم الكسائي والفراء، كانوا يميلون إلى التوسع في الاحتجاج بالشعر، ويرون أن ما جاء في كلام العرب الفصحاء من الشعراء المحتج بهم يعد مقبولا، حتى لو كان مخالفا للقياس العام. أما موقف ابن جني فقد تميز بوسطية نسبية، حيث يرى أن الضرورة ما وقع في الشعر، سواء كان للشاعر عنه فسحة أم لا (ابن جني، 1952، ج 2، ص 412). وهذا الموقف يوسع مفهوم الضرورة ليشمل كل ما يستخدم في الشعر ويخالف المعيار اللغوي العام، بغض النظر عن توفر البدائل أو عدمه.

3-3 تصنيفات الضرورة في التراث النقدي:

طور النحاة واللغويون القدماء تصنيفات دقيقة ومفصلة للضرورة الشعرية (السيوطي، 1998، ج 3، ص 156). يمكن إجمالها في أربعة مستويات لغوية:

أولا: الضرورات الصوتية: تشمل التغييرات التي تطرأ على بنية الكلمة الصوتية، مثل الإشباع أي مد حركة قصيرة لتصبح حرف مد، أو القصر أي تحويل حرف المد إلى حركة قصيرة، أو الحذف، أو الإبدال الصوتي (ابن الحاجب، 2010، ص 201). يعلق محمد حماسة عبد اللطيف على هذه الظواهر بقوله إن الضرورات الصوتية كانت الأكثر شيوعا لأنها الأقل إخلالا بالبنية الدلالية للكلمة (عبد اللطيف، 1996، ص 87).

ثانيا: الضرورات الصرفية: تتعلق بالانحراف عن الصيغ الصرفية المعيارية، كاستخدام صيغة جمع نادرة، أو تصريف فعل بطريقة غير قياسية (ابن عصفور، 1972، ص 145).

ثالثا: الضرورات النحوية: وهي مخالفة القواعد النحوية العامة في الإعراب أو الترتيب أو الحذف أو الزيادة (المبرد، 1994، ج 2، ص 234).

رابعا: الضرورات المعجمية: تشمل استخدام ألفاظ مهجورة أو نادرة أو لهجية لا تنتمي إلى الفصحى المعيارية (الجوهري، 1987، ج 4، ص 1567).

ب- إشكالية الضرورة بين الاضطرار والاختيار:

تكشف المناظرات النحوية القديمة عن إشكالية جوهرية في فهم طبيعة الضرورة الشعرية. يروي ابن جني في كتابه الخصائص عن أبي العباس المازني أنه جلس في حلقة الفراء فسمعه يقول لأصحابه: "لا يجوز حذف لام الأمر إلا في شعر" وأنشد:

من كان لا يزعم أني شاعر ** فيدن مني تنهه المزاجر

فسأله المازني: لم جاز في الشعر ولم يجز في الكلام؟ فأجاب الفراء: لأن الشعر يضطر فيه الشاعر، فيحذف "فعد المازني بسؤال أدق: وما الذي اضطره هنا، وهو يمكنه أن يقول: فليدن مني؟ فسأل الفراء عنه، فقبل له: المازني، فأوسع له. (ابن جني، 1952، ج 3، ص 306).

يعلق ابن جني على هذه المناظرة بقوله: "قد كان يمكن الفراء أن يقول له: إن العرب قد تلزم الضرورة في الشعر في حال السعة، أنسأ بها واعتياداً لها، وإعداداً لها لذلك عند وقت الحاجة إليها" (ابن جني، 1952، ج 3، ص 306). هذا التعليق يفتح أفقا جديدا لفهم الضرورة، إذ يشير إلى أن العرب قد تستخدم الضرورة حتى عند توفر البدائل، وذلك من باب الألفة بها والاستعداد لاستخدامها عند الحاجة الفعلية.

يشكل تحليل الشاطبي لمفهوم الضرورة الشعرية في كتابه المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية مرتكزا نظريا جوهريا يمكن الانطلاق منه لإعادة تأسيس فهم هذه الظاهرة اللغوية الإشكالية. فقد تجاوز الشاطبي في معالجته الحدود الضيقة للتفسير الأحادي الذي قصر الضرورة على مجرد الاضطرار الوزني، ليقدم رؤية معرفية متعددة المستويات تنطوي على خمسة معان متميزة للضرورة الشعرية، تشكل في مجموعها منعطفا معرفيا في استيعاب جدلية العلاقة بين المعيار اللغوي والممارسة الإبداعية.

يتيح هذا التحليل مدخلا منهجيا لمقاربة الإشكالية المركزية التي يطرحها هذا البحث، والمتمثلة في التساؤل الآتي: هل تمثل الضرورة الشعرية ظاهرة إكراهية نجمت عن محدودية الطاقة التعبيرية للغة وانحصار البدائل المتاحة أمام الشاعر، أم أنها تنطوي على بعد اختياري وإع ينبتق من اعتبارات جمالية وبلاغية وسيكولوجية تتصل بجوهر العملية الإبداعية الشعرية؟

إن المعاني الخمسة التي يستخلصها الشاطبي تكشف عن طبيعة مركبة لهذه الظاهرة وتعدد مستوياتها الدلالية، مما يفتح أفقا معرفيا جديدا لإعادة قراءة نقدية لمفهوم الضرورة من منظور تكاملي يستوعب التوتر الجدلي بين المعيار اللغوي والوظيفة الجمالية. فمن ناحية، تؤكد هذه المعاني أن الشاعر العربي لم يكن في جميع الحالات خاضعا لإكراه لغوي بالمعنى الحرفي، إذ كانت السعة المعجمية والتنوع الأسلوبي للغة العربية يتيحان له منظومة من البدائل التعبيرية؛ ومن ناحية أخرى، تشير إلى أن اصطفاء الشاعر للصيغة المنطوية على الضرورة قد يكون محكوما بدوافع جمالية أو بلاغية أو نفسية تجعل من هذه الصيغة الخيار الأمثل الذي يحقق المطابقة الكاملة لمقتضى الحال والوفاء الأتم بالمعنى المقصود.

وفيما يلي عرض تفصيلي لهذه المعاني الخمسة التي أوردها الشاطبي في معالجته لهذه الظاهرة: المعنى الأول يتعلق بجواز الاستعمال للضرورة حيث لا يضطر إليها، مع اتفاقهم على أن ما اختص بالشعر لا يستعمل في الكلام ولا يعد كالمستعمل فيه إذا أمكن الخروج عن الضرورة بتبديل أو تحريف وهو المتفق عليه وهو الذي خالف فيه الناظم.

المعنى الثاني وهو الأهم: أن الضرورة عند النحويين ليس معناها أنه لا يمكن في الموضع غير ما ذكر، إذ ما من ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره من الألفاظ الصحيحة الجارية على القياس المستمر، ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل، فالراء في كلام العرب وتأليف حروفهم من الشيع في الاستعمال بمكان لا يجهل ولا تكاد تنطق بجمليتين

تعريان عنها، يؤكد الشاطبي هذا المعنى بمثال طريف عن واصل بن عطاء الذي هجر حرف الراء لمكان لثغته فيها، حتى كان يناظر الخصوم ويخطب على المنبر فلا يسمع في نطقه راء، فكان إحدى الأعاجيب حتى صار مثلاً. يستنتج من هذا أنه لا مرية في أن اجتناب الضرورة الشعرية أسهل من هذا بكثير، وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد أدى إلى أن لا ضرورة في شعر عربي، وذلك خلاف الإجماع والبدية.

المعنى الثالث: أن الشاعر قد لا يخطر بباله إلا لفظه ما تضمنه النطق به في ذلك الموضوع إلى زيادة أو نقص أو غير ذلك بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتال في شيء يزيل تلك الضرورة، وهذا المعنى يفسر الضرورة بأنها قيد نفسي إبداعي، فالشاعر في لحظة الإبداع لا يخطر بباله إلا لفظ معين، وإن كان يمكن لغيره أن يجد بديلاً له. ومن أين يلزم أن يكون المضطر ذاكرة للمخرج عن الضرورة في الوقت أو بعده بحيث يقدر على استدراكه؟ هذا ما لا يمكن وإن فرضنا إمكانه في بعض الأحوال فلا يمكن في جميع الأحوال بل في بعضها، وذلك حين ينصرفون إلى التنقيح والتلوم على رياضته وهذا عند العرب قليل كزهير في حويلياته، أما في حال الضيق كمواطن الخطابة والتهاجي وإجابة الخصوم والمواقف التي يفجأ فيها الارتجال من غير توسعة كحسان بن ثابت وغيره من الشعراء الذين جنوا في مواطن الارتجال جنونا، فمثل هذه الأحوال لا يمكن فيها ذلك.

المعنى الرابع: أنه قد تكون للمعنى عبارتان أو أكثر منها واحدة يلزم فيها ضرورة، إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال، ومفصحة عنه على أوفى ما يكون، والتي صح قياسها ليست بأبلغ في ذلك من الأخرى ولا مرية في أنهم في هذه الحال يرجعون إلى الضرورة، إذ كان اعتناؤهم بالمعاني أشد من اعتنائهم بالألفاظ، وقد بوب ابن جني على هذا المعنى يربط الضرورة بالبلاغة، فقد تكون العبارة المتضمنة للضرورة أبلغ وأوفى بالمعنى من العبارة الصحيحة نحوياً. وإذا ظهر لنا في موضع أن ما لا ضرورة فيه يصلح هنالك، فمن أين يعلم أنه مطابق لمقتضى الحال، أو أنه أبلغ فيما قصد من المبالغة في البيان والإفصاح؟ لا سبيل إلى معرفة ذلك في أكثر المواضع، والحاضر أبصر من الغائب، فلا تجوز لما لا تعلم حقيقته.

المعنى الخامس: أن العرب قد تأتي بالكلام القياسي الصحيح لعراض زحاف عروضي، فتستطيب التفعيلة المزاحفة دون غيرها أو بالعكس، فتركب الضرورة لتحقيق ذلك. وقد انقسم العرب في ذلك إلى فرقتين:

الفرقة الأولى: وهم الجفاة الفصحاء، فلا يبالون بكسر البيت أي بالزحاف العروضي، إذ يكون قصدهم الأول استقامة المعنى وصحة الإعراب، وإن أدى ذلك إلى زحاف مستثقل، ما دام لم يخرج عن الوزن الطبيعي للبحر الشعري. فهؤلاء يفضلون احتمال الزحاف على احتمال زيغ الإعراب، لاستنكارهم الانحراف عن الصحة النحوية. وهذا المذهب هو الأقوى والأرجح، لأن احتمال الزحاف أسهل وأهون من احتمال زيغ الإعراب، إذ الزحاف تغيير موسيقي يطرأ على التفعيلة ولا يمس بنية اللغة وصحتها، بينما زيغ الإعراب يمس أصل الكلام وفصاحته.

الفرقة الثانية: وهم الذين حافظوا على الوزن الشعري واستقامة التفعيلات حتى ارتكبوا من أجل ذلك زيغ الإعراب وانحرافاً عن القاعدة النحوية، ملتزمين بالضرورة الشعرية لتحقيق الانسجام العروضي الكامل. (الشاطبي، 1428هـ ج 1، ص 493-87)

ج- الضرورة الشعرية في سياق الشعرية العربية الحديثة

2-1 تحولات البنية الإيقاعية:

شهد القرن العشرون ثورة شعرية غير مسبوقة في تاريخ الأدب العربي، تمثلت في ظهور أشكال شعرية جديدة كسرت القوالب التقليدية. يعلق إحسان عباس على هذا التحول بقوله إن حركة الشعر الحر أحدثت انقلاباً جذرياً في مفهوم الإيقاع الشعري، وبالتالي في علاقة الشاعر باللغة (عباس، 1978، ص 312).

قصيدة النثر تمثل الشكل الأكثر راديكالية، إذ تنطلق من مبدأ التحرر الكامل من الوزن الخليلي والقافية الموحدة (أدونيس، 1989، ص 67). في هذا السياق، يفقد مفهوم الضرورة الشعرية الكلاسيكي معناه تماماً، إذ لا وجود للقيود الوزنية الذي يمكن أن يبرر الانحراف عن القاعدة اللغوية.

شعر التفعيلة يمثل موقفاً وسطاً، فهو يحتفظ بالتفعيلة كوحدة إيقاعية أساسية، لكنه يتحرر من صرامة البحر الكامل ومن وحدة القافية (الملائكة، 1974، ص 45). تؤكد نازك الملائكة على أن شعر التفعيلة أتاح للشاعر مساحة أوسع للمناورة اللغوية، وقلل بشكل كبير من الحاجة إلى الضرورات الشعرية (الملائكة، 1974، ص 98).

2-2 الموقف النقدي المعاصر:

يتسم الخطاب النقدي العربي المعاصر بموقف متشدد نسبياً من الضرورة الشعرية، مقارنة بالموقف التقليدي الأكثر تساهلاً. يرى طه حسين أن الشاعر الحقيقي يجب أن يكون متمكناً من لغته إلى درجة تمكنه من إيجاد البدائل اللغوية المناسبة دون الحاجة إلى كسر القواعد (حسين، 1996، ص 234).

يلخص أمجد الطرابلسي الموقف النقدي المعاصر بقوله إن النقاد المعاصرين أجازوا ركوب الضرائر واستعمال الرخص انطلاقاً من أن حظر الخروقات اللغوية مسألة تتعلق بالكلام العادي، أما الشعر فله خصوصيته (الطرابلسي، 1994، ص 156). لكنه يضيف أن هذه الخصوصية لا تعني الفوضى اللغوية، بل يجب أن يكون لكل انزياح مبرره الجمالي أو الدلالي.

د- سعة اللغة العربية وإمكانيات البدائل المعجمية

2-1 الثراء المعجمي بديلاً:

تعد اللغة العربية من أغنى لغات العالم من حيث الثروة المعجمية والتنوع الأسلوبي (الزمخشري، 2009، ص 23). يتجلى هذا الثراء في عدة مظاهر: الترادف الذي يتيح للشاعر خيارات متعددة في التعبير عن المعنى الواحد (ابن فارس، 1979، ج 1، ص 34)، والتنوع الصرفي الذي يسمح بتوليد صيغ مختلفة من الجذر الواحد (سيبويه، 1988، ج 4، ص 102)، والأساليب البلاغية كالتقديم والتأخير والحذف والذكر (الجرجاني، 1992، ص 89).

يرى إبراهيم أنيس أن الشاعر المعاصر المتمكن من لغته والمطلع على معاجمها لا يجب أن يجد نفسه مضطراً للجوء إلى الضرورة الشعرية إلا في أضيق الحدود (أنيس، 2003، ص 267). هذا الموقف يفترض أن سعة اللغة كافية، نظرياً على الأقل، لتوفير بدائل لغوية صحيحة لكل معنى يريد الشاعر التعبير عنه.

2-2 حدود الحل المعجمي:

رغم وجاهة الطرح السابق نظرياً، إلا أن الممارسة الشعرية الفعلية تكشف عن إشكاليات عملية تحد من فعالية الحل المعجمي كبديل كامل عن الضرورة. يشير محمد حماسة عبد اللطيف إلى أن المترادفات في اللغة، رغم

تقاربها، نادرا ما تكون متطابقة تماما في الدلالة أو الإيحاء، فكل كلمة تحمل ظللا دلالية خاصة وحقولا دلالية مختلفة (عبد اللطيف، 1996، ص 178).

تتمثل الإشكاليات الرئيسية في: دقة المعنى حيث البديل قد لا يؤدي المعنى الدقيق (مختار عمر، 1998، ص 89)، والجرس الموسيقي إذ الكلمة البديلة قد تستقيم وزنيا لكنها قد لا تحمل الجرس الصوتي نفسه (إبراهيم أنيس، 1972، ص 156)، والسياق الأسلوبي فالكلمة لا تعيش منفردة بل ضمن سياق متكامل (تمام حسان، 1994، ص 234)، والإيحاء والكثافة حيث الكلمة في السياق الشعري تحمل شحنة إيحائية ورمزية (كمال أبو ديب، 1987، ص 45).

هـ- إعادة النظر في مفهوم الاضطرار: البعد الجمالي للضرورة

3-1 الاضطرار اللغوي مقابل الاختيار الجمالي:

يمكن تصور سيناريوهين مختلفين لطبيعة الاضطرار الذي يدفع الشاعر لاستخدام الضرورة الشعرية. السيناريو الأول هو الاضطرار اللغوي الخالص، حيث يكون الشاعر قد وصل إلى نقطة لا يجد فيها كلمة أو تركيبا يجمع بين المعنى المطلوب والاستقامة الوزنية والصحة اللغوية (عز الدين إسماعيل، 1981، ص 123). السيناريو الثاني هو الاختيار الجمالي المتعمد، حيث يكون الشاعر قد وجد بالفعل بدائل لغوية صحيحة، لكنه يشعر أن كلمة معينة أو صيغة معينة حتى لو كانت تتطلب استخدام الضرورة هي الأمثل والأجمل والأبلغ في ذلك السياق (صلاح فضل، 1998، ص 201). يعلق كمال أبو ديب على هذا البعد بقوله إن الانزياح اللغوي في الشعر ليس دائما نتاج عجز، بل قد يكون أداة جمالية واعية لخلق أثر فني معين (أبو ديب، 1987، ص 78).

3-2 الضرورة انزياح أسلوبي:

إذا تبيننا المنظور الثاني، يمكننا إعادة قراءة الضرورة الشعرية من خلال مفهوم الانزياح الذي طوره الأسلوبيون المعاصرون. يعرف جان كوهين الانزياح بأنه خرق قانون اللغة بمعنى أنه خروج عن المألوف يكسر أفق التوقع لدى المتلقي محققا نوعا من المفاجأة الدلالية والجمالية (كوهين، 1986، ص 134). يعرف نعيم اليافي الانزياح بأنه خروج التعبير عن السائد أو المتعارف عليه قياسا في الاستعمال، رؤية ولغة وصياغة وتركيبا (اليافي، 1982، ص 67). من هذا المنظور، بعض أشكال الضرورة الشعرية يمكن النظر إليها كأنواع من الانزياح الأسلوبي:

الانزياح الصوتي: عندما يغير الشاعر البنية الصوتية للكلمة فإنه يخلق إيقاعا مختلفا أو يلفت الانتباه إلى تلك الكلمة صوتيا (الغذامي، 2006، ص 189).

الانزياح الصرفي: استخدام صيغة صرفية نادرة قد يضيفي على الكلمة طابعا خاصا أو يحملها ظللا دلالية مختلفة (المسدي، 1977، ص 234).

الانزياح النحوي: التقديم والتأخير غير المألوف، أو الحذف، قد يخلق توترا في البنية النحوية يخدم التوتر الدرامي أو الدلالي في القصيدة (فضل، 1985، ص 156).

3-3 معايير التمييز بين الضرورة المبررة والقسرية:

كيف يمكن للناقد أو القارئ المتمرس أن يميز بين استخدام الضرورة الشعرية كاختيار فني مبرر، وبين اللجوء إليها كنتيجة لضعف في الصنعة؟ يمكن اقتراح عدة معايير:

أولاً: التكرار والنمط: إذا كان الشاعر يلجأ إلى الضرورة بشكل متكرر وغطّي في قصائده، فهذا مؤشر على أنها نتاج عجز لغوي أكثر منها اختيار فني (شكري عياد، 1993، ص 278).

ثانياً: السياق الدلالي والجمالي: هل يضيف استخدام الضرورة قيمة دلالية أو جمالية للنص؟ (المسدي، 1977، ص 198).

ثالثاً: وجود البدائل الواضحة: إذا كان من السهل اقتراح بديل لغوي سليم ومستقيم الوزن ومماثل في الدلالة والجمال، فإن استخدام الشاعر للضرورة يصبح غير مبرر (عبد اللطيف، 1996، ص 267).

رابعاً: المستوى العام للقصيدة: مستوى التمكن اللغوي والصنعة الشعرية في القصيدة ككل يساعد في الحكم على حالات الضرورة فيها (عباس، 1978، ص 389).

خاتمة:

بعد هذه المعالجة التحليلية لإشكالية الضرورة الشعرية في الخطاب النقدي المعاصر، وبعد تتبع الجذور التاريخية لهذا المفهوم ورصد تطوره عبر المدارس النحوية المختلفة، وبعد إعادة قراءة نصوص التراث النحوي واللغوي في ضوء المعطيات المعاصرة للشعرية العربية، وبعد استكشاف العلاقة الجدلية بين المعيار اللغوي والوظيفة الجمالية، والوقوف على آراء الشاطبي وابن جني وغيرهما من أعلام النحو الذين قدموا رؤى متعددة الأبعاد لهذه الظاهرة، وبعد مناقشة التحولات التي أحدثتها أشكال الشعر العربي الحديث في مفهوم الضرورة وحدودها، يمكن القول إن هذا البحث قد توصل إلى مجموعة من النتائج المهمة التي تسهم في تعميق الفهم النقدي لهذه الظاهرة اللغوية الإشكالية، وتفتح آفاقاً جديدة لإعادة قراءتها من منظور يجمع بين الأصالة والمعاصرة. وتتمثل أبرز هذه النتائج فيما يلي:

أولاً: الضرورة الشعرية ليست مفهوماً واحداً جامداً، بل هي ظاهرة متعددة الطبقات والأبعاد، تشمل حالات الاضطراب اللغوي الحقيقي وحالات الاختيار الجمالي المتعمد.

ثانياً: التحولات التي شهدتها القصيدة العربية الحديثة، خاصة ظهور قصيدة النثر وشعر التفعيلة، قللت بشكل كبير من الحاجة الموضوعية إلى الضرورة الشعرية.

ثالثاً: انفتاح الشعراء المعاصرين على سعة اللغة العربية وراثتها المعجمي والأسلوبي يمكن الشاعر من إيجاد بدائل لغوية صحيحة في معظم الحالات.

رابعاً: إعادة النظر في مفهوم الاضطراب نفسه تفتح أفقاً جديداً لفهم الضرورة الشعرية، إذ ليس كل استخدام للضرورة نابع من عجز لغوي؛ بعضه قد يكون اختياراً جمالياً واعياً يوظف الانزياح عن المعيار اللغوي لخلق أثر فني معين.

خامساً: التمييز بين الضرورة المبررة فنيا والضرورة القسرية الناتجة عن ضعف الصنعة يتطلب تحليلاً نقدياً دقيقاً يأخذ بعين الاعتبار السياق الشعري الكلي والمستوى العام للقصيدة.

سادساً: في المحصلة النهائية، يظل التوتر الخلاق بين صرامة القالب الإيقاعي من جهة ومرونة اللغة وسعة إمكاناتها من جهة أخرى جزءاً من طبيعة الكتابة الشعرية الموزونة.

يوصي البحث بإجراء دراسات تطبيقية على نماذج شعرية معاصرة لاختبار هذه الفرضيات، مع التركيز على التمييز بين الاستخدام الفني للضرورة ومجرد العجز عن إيجاد البديل.

قائمة المراجع:

- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. الإيضاح في شرح المفصل. تحقيق موسى بناي العليلى. وزارة الأوقاف. 2010. بغداد.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. دار الكتب المصرية. 1952. القاهرة.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن. ضرائر الشعر. تحقيق السيد إبراهيم محمد. دار الأندلس. 1972. القاهرة.
- ابن فارس، أحمد. الصحابي في فقه اللغة. دار الكتب العلمية. 1979. بيروت.
- أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. 1987. بيروت.
- أبو ديب، كمال. في الشعرية. مؤسسة الأبحاث العربية. 1987. بيروت.
- أدونيس، علي أحمد سعيد. الشعرية العربية. دار الآداب. 1989. بيروت.
- إبراهيم، إبراهيم حسن. النحو العربي وعلم اللغة الحديث. دار غريب. 2005. القاهرة.
- الأنباري، أبو البركات. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق إبراهيم السامرائي. مكتبة الأندلس. 1961. بغداد.
- أنيس، إبراهيم. موسيقى الشعر. مكتبة الأنجلو المصرية. 1972. القاهرة.
- أنيس، إبراهيم. من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية. 2003. القاهرة.
- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي. 1992. القاهرة.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. 1987. بيروت.
- حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها. عالم الكتب. 1994. القاهرة.
- حسين، طه. في الأدب الجاهلي. دار المعارف. 1996. القاهرة.
- الزجاجي، عبد الرحمن. الإيضاح في علل النحو. تحقيق مازن المبارك. دار النفائس. 1984. بيروت.
- الزمخشري، محمود. أساس البلاغة. دار الكتب العلمية. 2009. بيروت.
- سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. 1988. القاهرة.
- السيوطي، جلال الدين. الأشباه والنظائر في النحو. تحقيق عبد العال سالم مكرم. مؤسسة الرسالة. 1998. بيروت.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية. تحقيق مجموعة من المحققين. جامعة أم القرى. 1428هـ. مكة المكرمة.
- الطرابلسي، أمجد. الأسلوبية والشعر العربي المعاصر. دار الحداثة. 1994. بيروت.
- عباس، إحسان. اتجاهات الشعر العربي المعاصر. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 1978. الكويت.
- عبد اللطيف، محمد حماسة. لغة الشعر: دراسة في الضرورة الشعرية. دار الشروق. 1996. القاهرة.
- عز الدين إسماعيل. الشعر العربي المعاصر: قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية. دار الفكر العربي. 1981. القاهرة.
- عياد، شكري. مدخل إلى علم الأسلوب. دار العلوم. 1993. القاهرة.
- الغذامي، عبد الله. الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2006. القاهرة.
- فضل، صلاح. علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1985. القاهرة.
- فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 1998. الكويت.
- كوهين، جان. بنية اللغة الشعرية. ترجمة محمد الولي ومحمد العمري. دار توبقال. 1986. الدار البيضاء.

المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة. عالم الكتب. 1994. القاهرة.
المسدي، عبد السلام. الأسلوبية والأسلوب. الدار العربية للكتاب. 1977. تونس.
مختار عمر، أحمد. علم الدلالة. عالم الكتب. 1998. القاهرة.
الملائكة، نازك. قضايا الشعر المعاصر. دار العلم للملايين. 1974. بيروت.
اليافي، نعيم. تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث. اتحاد الكتاب العرب. 1982. دمشق.